

في الاسماء المؤنثة لابن الحاجب

إحسان جعفر
(سورية)

الأسماء ، فإن كان الاسم لمن تعقل كان التأنيث حقيقياً كدعد وزينب ، وإن لم يكن كذلك كان مجازياً كشمس وأذن ، قال ابن مالك :

• وفي أسام قدروا التا كالكتف •

ويستدل على التأنيث المجازي بضمير المؤنث ، أو إشارته ، أو لحوق التاء بفعله مثل هذه الشمس رأيتها طلعت ، أو ظهور التاء في تصغيره كأذينة ، أو حذفها من اسم عدده كأربع آذان ، والمؤنثات المجازية ألقاظ محصورة سُمعت عن العرب ، فيقتصر عليها ، ويمكن الرجوع بشأنها إلى كتب المذكر والمؤنث مثل :

(1) كتاب المذكر والمؤنث للفراء (المطبعة العلمية بحلب سنة 1345هـ)

(2) كتاب المذكر والمؤنث للمبرد (تحقيق د. رمضان عبد التواب ، مطبعة دار الكتب بمصر 1970م) .

(3) البلغة في الفرق بين المؤنث والمذكر لأبي البركات ابن الأنباري ، (تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ، مطبعة دار الكتب بمصر 1970) .

الأسماء المعربة والصفات (المشتقة) المؤنثة في اللغة العربية تُعرف من حملها لإحدى علامات التأنيث ، وهي التاء كشجرة ، والألف المقصورة كالشعري ، والألف المدودة كصحراء ، ومن السهل تمييزها كشمس ، ونار ، ورأس ، وبطن ، وطريق . بعضها يعد مذكراً ، وبعضها مؤنثاً ، وبعضها يجوز فيه الوجهان : التذكير والتأنيث ؛ فكلّ من البطن والرأس والقم والباب - مثلاً - مذكر . وكلّ من العين والأذن والدار والشمس - مثلاً - مؤنث . وكلّ من السبيل والطريق والصراف والمِسْك يجوز تذكيره وتأنيثه . والواقع أنّ تذكير هذه الألقاظ وتأنيثها لا يمتّ إلى المنطق بصلّة ، وإنّ الخيال وحده قد خلع على بعض الأشياء الجامدة سمات الأشخاص ، فآث بعضها ، وذكر بعضها الآخر تبعاً لتصوره كلا منها ، ومن هنا كان اختلاف لغة الحجاز ، ولغة تميم في تذكير بعض الأسماء وتأنيثها ، فعلى حين يقول أهل الحجاز : هي النمر ، وهي البر ، وهي الشعير ، وهي الذهب ، وهي البسر ، تذكّر تميم هذه الألقاظ ...

ونحن نستطيع بمثل هذا التعليل أن نفهم تقسيم المؤنث إلى حقيقي ومجازي ، وعليه فنقدر تاء التأنيث في بعض

(4) رسالة في المؤنثات السماعية لنور الدين بن نعمة الله الحسيني (ضمن كتاب البلغة في شذور اللغة ، نشر هغز وشيخو ، بيروت 1914)

وقد نظم ابن الحاجب⁽¹⁾ المؤنثات السماعية المشهورة في قصيدة أثبتتها فيما يلي نقلاً عن مجموع خطي وجدتها فيه ، وإنما أوردتها دحضاً لمن زعم⁽²⁾ أن في لغتنا مئثات ومئثات من أسماء الجهادات لا تعرف أمذكر هي أم مؤنث؟؟ ومن ثم دعا إلى أن نعني الناس من تخطتتهم عندما يخالفون اعتبارات التذكير والتأنيث على النحو الذي تسيّر عليه اللغة العربية .

قال ابن الحاجب (من البحر الكامل) :

نَفْسِي الفداء لِسَائِلِ وافاني
بمائل فاحت كروض جنان
أسماء تأنيث بغير علامة
هي يا فتى في عرفهم ضربان

قد كان منها ما يؤنث ثم ما
خُبرَتْ فيه لاختلاف معانٍ
أما الذي لأبد من تأنيثه
سئون شبه العَيْن⁽³⁾ والأذنان

والنفسُ ثم الدار ثم الدلو من
أعدادها والسَّن⁽⁴⁾ والكتيفان
وجَهَمٌ ثم السَّعِير⁽⁵⁾ وعقرب
والأرضُ ثم الآس⁽⁶⁾ والعضدان
ثم الجحيم⁽⁷⁾ ونارها ثم العصا
والرَّيح⁽⁸⁾ منها واللظى وِبدان
والعُولُ والفِرْدوسُ والفلكُ التي

في البحر ، وهي في القرآن
وعروض⁽⁹⁾ شعرٍ والذراعُ وتعلبُ
والسِّلحُ ثم الفأسُ والوركان
والقوسُ ثم المنجنيقُ وأرنبُ
والحَمْرُ ثم البيئرُ والفخذان
وكذلك في ذَهَبٍ وفَهْر⁽¹⁰⁾ حكمهم
أبدأ ، وفي ضَرْبِ⁽¹¹⁾ بكلِّ مكان

(1) ابن الحاجب : هو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر المتوفى سنة 646هـ ، ولد بصعيد مصر سنة 570هـ ، ونشأ بالقاهرة ، له مصنفات كثيرة وجاءت شهرته بما صنفه في النحو ، وأهم مصنفاته فيه الكافية ، والشافية ، وهما مطبوعتان بشرح الرضي ، وفي دار الكتب المصرية مخطوطة من أماليه النحوية في أكثر من ستمائة وخمسين صفحة . ولابن الحاجب آراء كثيرة اتفق فيها مع بعض النحاة ، وأخرى خالف فيها جمهورهم .

(2) انظر : المذكر والمؤنث مجازياً «اقتراح» بقلم محمد خليفة التونسي ، مجلة العربي ، العدد 268 ، الصفحة 134 .

(3) العين : مؤنث ، سواء أكانت بمعنى الباصرة أم كانت لعين الماء ، وللعين في اللغة العربية (48) معنى .

(4) من القم ، وكذا السن بمعنى العمر ، لأنها بمعنى المدة ، يقال : كبرت سني ، والأسنان كلها إناث إلا الأضراس والأنياب فإنها ذكرا .

(5) السعير : النار ، قال تعالى : «وسيصلون سعيراً» .

(6) النحل : أنتى ، قال عز وجل : «وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً» .

(7) الجحيم : النار الشديدة التأجج قال جل ثناؤه : «فإن الجحيم هي المأوى» وقال : «وإذا الجحيم سَعُرَتْ» ، والكتاب اليوم يذكرون الجحيم ، وهو خطأ .

(8) جميع أسماء الرياح مؤنثات مجازية ما عدا الاعصار فذكر .

(9) عروض الشعر وغيره أنتى كما قال الشاعر :

وما زال سوطي في قرابي ومحجني ومازلت منهم في عروض أذودها

والعروض هنا الناقة ، وللعروض معان كثيرة منها : الطريق ، وميزان الشعر ، والجدي ، والتيس ، والسحاب ، والطعام ...

(10) الفَهْر : الحجر .

(11) الضرب : العسل الأبيض يقال : الضربُ البيضاء .

والعينُ للينبوعِ والدَّرْعُ التي
هي من حديدِ قطبِ والقدمانِ
وكذاك في كَيْدٍ، وفي كَرَشٍ، وفي
سَقَرٍ⁽¹³⁾، ومنها الحربُ والتعلانِ
وكذاك في فرسٍ، وفي كَأْسٍ وفي
أفْعَى، ومنها الشَّمْسُ والعِقبانِ
والعنكبوتُ⁽¹³⁾ تحوُّكُ والموسَى معاً
ثم البَيْنُ، وإضْبَعُ⁽¹⁴⁾ الإنسانِ
والرَّجْلُ منها والسَّراويلُ التي
في الرَّجْلِ كانتْ زينةَ العريانِ
وكذا الشَّالُ من الإنسانِ، ومثلها
ضَبْعٌ، ومنها الكَفُّ والسَّاقانِ
أَمَّا الَّذِي قَدْ كُنْتُ فِيهِ مُخَيَّرًا
هُوَ كَانَ سَبْعَةَ عَشَرَ فِي التَّيَّانِ
السَّلْمُ⁽¹⁵⁾ ثم المِسْكُ ثم القِدْرُ⁽¹⁶⁾ في
لَعْنَةٍ، ومِثْلُ الحَالِ⁽¹⁷⁾ كَلَّ أَوَانُ

وبهذا نكون قد انفرادنا لأول مرة بشرح الرواية
الصحيحة، الموثقة، لقصيدة ابن الحاجب الموشحة
بالمؤنثات السماعية، وكان لويس شيخو مدير مجلة المشرق
قد نشرها بدون اعتناء سنة 1908 في بيروت، وأعاد
طبعتها في كتاب «البلغة في شذور اللغة» سنة 1914، بيد
أن طبعته السقيمة جاءت مشحونة بالتحريفات، ومليئة
بالأخطاء الشنيعة، فضلاً عن تصحيف معظم ألفاظها،

(12) هي جهنم، معرفة ممنوعة من الصرف قال تعالى: «وما أدراك ما سقر لا تبني ولا تذر».

(13) العنكبوت: مؤنثة واحدة كقول الله عز وجل: «كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً».

(14) الأصابع: إناث كلهن إلا الإبهام فإن العرب على تأنيبها إلا بني أسد أو بعضهم فإنهم يقولون: هذا إبهام، والتأنيث أجود.

(15) بمعنى الصلح.

(16) القدر: أنقى، ويذكرها بعض قيس.

(17) الحال: أنقى، وأهل الحجاز يذكرونها، وربما أدخلوا فيها الهاء قال الشاعر:

على حاله لو أن في القوم حاتمًا على جوده لضمن باللاء حاتم

(18) اللسان يذكر، وربما أنت وإذا قصدوا باللسان قصد الرسالة أو القصيدة. (أو اللغة) قال الشاعر:

لسان المرء تهديها إلينا وجئت وما حسبك أن تحينا

ويروى لسان السوء، وقال الآخر:

أتنتي لسان بني عامر أحاديثها بعد قول نُكْر

وذكرها الخطيب فقال:

نمدت على لسان كان مني فليت بأنه في جوف عيكم

وأما اللسان بعينه فلم يسمع من العرب إلا مذكراً، ومن جمع اللسان المذكر قال في جمعه «السنه» وجمعه الكثير «السن»، ومن أنت فيجمع على «السن».

(19) الضحى: أنقى يقال ارتفعت الضحى، وتصغيرها ضحياً بغير الهاء كأنهم كرهوا أن يشبه تصغيرها تصغير ضحوة، قال الشاعر:

بفعت حليقاً بعدما اشتدت الضحى بمرتقبٍ عالي الشَّاز رفيع

ومعنى يفتع ارتفعت (وحليقاً) اسم جبل.

ضعيفة لا يُعتدّ بها، أو كان من متروك الكلام
ومهجوره .

المراجع

- (1) المذكر والمؤنث للفراء (حلب 1345هـ).
- (2) المذكر والمؤنث للمبرد (مصر 1970).
- (3) مختصر الوجوه في اللغة للخوارزمي المطبعة العلمية
بجلب سنة 1345هـ.
- (4) أزهار الفصحى في دقائق اللغة لعباس أبو السعود،
دار المعارف بمصر 1970.
- (5) مجلة العربي، العدد 268.
- (6) دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح.
- (7) المدارس النحوية لشوقي ضيف.
- (8) كتاب خط قديم.

ولا أدري كيف أجاز لنفسه أن ينشرها بتلك التشوهات
فغدت عنده أسماء عديدة مذكرة لا يجوز تأنيثها مؤنثة،
والعكس أيضاً، ومما يؤسف أن أحد الدارسين، فهو
عصام نور الدين نقل قصيدة ابن الحاجب المذكورة من
كتاب شيخو، وضمنها كتابه «أبنية الفعل في شافية ابن
الحاجب» الصادر حديثاً في بيروت، وهو عبارة عن
رسالة دكتوراه، ويلوح أنه لم ينتبه إلى الأخطاء الواقعة
فيها، ونأمل منه تصحيحها في طبعة الكتاب القادمة.

وكما رأيت فإنّ الأسماء المؤنثة مجازياً المتداولة في عريتنا
اليوم التي وشح ابن الحاجب بها قصيدته لا تعدّ أكثر من
ستين اسماً يزداد عليها أسماء البلدان، وحروف الهجاء،
والحروف نحو: في وعلى... وتسويغ إجازة تذكيرها
وتأنيثها مردود، وإنّ الاقتراح الذي طالعه مؤخراً بهذا
الشان، يسقط فيما إذا حُصرت هذه الأسماء، وتمت
معرفتها وضرب صفحاً عمّا اختلف فيه، وجاء بلهجات